

السببيات في الدرس التحوي دراسة مستجدة

أ.د. سيد محمد رضا ابن الرسول

جامعة أصفهان - كلية اللغات الأجنبية - قسم اللغة العربية وآدابها ، الكاتب

المسؤول (إيران)

ibnorrasool@yahoo.com.

ناديا دادبور

جامعة أصفهان - كلية اللغات الأجنبية - قسم اللغة العربية وآدابها (إيران).

Dadynady95@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020 / 02 / 28 تاريخ القبول: 2020 / 06 / 06 تاريخ النشر: 2020 / 06 / 15

الملخص: السببيات من أهم القضايا التحوية التي لها اليد الطولي في استحضار الشحناات الدلالية الغائرة في النصوص ؛ هي التي تزيح الستار عن الكثير من الفضاءات النصية الغامضة ، إلا أن النحاة قد أهملوا دراسة السببيات بشئى فروعها إلى حد كبير واكتفوا منها بدراسة النعت السببي ، دراسة طافحة ولم يسبروا . على ما علم . أغوار هذه القضية النحوية . استهدفت هذه المقالة فحص السببيات فحصاً قواعدياً في ظلال القراءة الناقدة الكاشفة المستجدة . وذلك على أساس المنهج الوصفي التحليلي فبعدما وضحت الخطوط العريضة التي عالجه النحاة قديماً في السببيات ولاسيما النعت السببي ؛ جنحت نحو استقصاء الزوايا الخفية غير المطروقة في هذا النعت وراحت تكشف سائر البنيات السببية من الخبر والحال والمفعول . وتوصلت أخيراً إلى أن الوجوه السببية لا تتحدد في النعت السببي بل تجتازه إلى الحال السببية والخبر السببي والمفعول الثاني لأفعال ظن وأخواتها والصلة السببية ثمة أن النعت السببي كقسيمه الحقيقي يتفرع إلى المفرد وشبه الجملة . أما الدور الوظيفي للسببيات فيتلخص في الأثر الذي تتركه على تماسك النص وتشجيع المتلقي لمواصلة القراءة ثم إزاحة الستار عن الأفعنة الدلالية لتبيين كيفية خاصة .

الكلمات المفتاحية: الدرس التحوي ، النعت السببي ، الحال السببية ، الخبر السببي .

Study of pronominals in Arabic grammar

Abstract : The issue of pronominals is one of the most important issues in Arabic grammar and can reveal hidden literary concepts. But Arabic grammarians studied and investigated just a small part of pronominals. In fact, researches in the field of pronominals only include of pronominal adjective

and pronominal adverb and most of its applied beauties are ignored. We want to study various kinds of grammatical pronominals in this paper to increase the richness of traditional researches. Findings show that grammatical pronominals doesn't include of pronominal adjective just but it divided into two parts as verbal pronominal adjective and mental pronominal adjective. Pronominal proposition and pronominal indicating adverb and pronominal object and pronominal subject are other types of pronominals that aren't mentioned in traditional grammar. Indicating adverb, sequent sentence and proposition are the best base for pronominals to appear.

Keywords: Arabic grammar, pronominal adjective, pronominal indicating adverb, Pronominal Proposition

مقدمة:

لم يفتح للسببيات باباً منفرداً في النحو العربي ، ولم يمثل هذا الجانب جهازاً معرفياً في الدرس النحوي ولا غرو أن تناسي هذا الجانب تعدّ ثلثة لأبد من ردمها والولوج في هذا الجانب يوفّر معطيات كثيرة ويكوّن ركائز ضخمة إذ هنالك أنواع من السببيات المستجدة من أمثال المفاعيل السببية والأخبار السببية والمبتدأ السببي لم تأت في حسابان النحاة ، فتعتبر هذه كلّها شذرات النعت السببي والحال السببية اللذين عهدهما الدرس النحوي القديم.

1-1 تحديد المسألة:

تبيين متعلقات الموصوف وأسبابه في النحو العربي يتجلّى أكثر ما يتجلّى في النعت السببي هذا الذي تنجز فيه عملية إلحاق الوصف إلى الموصوف على نسق غير مباشر أي على يد الوصف التوسيطي ، ففي هذا النموذج التوصيفي القائم على أسس أربعة ؛ النعت ، والمنعوت ، والرباط ومتعلق المنعوت لا يتصل الوصف بالموصوف المعهود نفسه بل المؤشر الوصفي يرد ليسفر عمّا نيظ بالموصوف أي ورد ليكشف عن ساقى سبب من أسبابه إلا أنّ الوصف يعود إلى الموصوف المتأصل ولا يزال هو الموصوف ووظيفته لم تسرّح إلى أسبابه إلا معنى . ففيما يسمّى بالنعت الحقيقي لا يتبع الصفة سبب أو متعلق ما بل تلتصق الصفة بالموصوف من دون أن يحول دونهما عائق « فالنعت الحقيقي هو الذي يبيّن صفة من الصفات الموجودة في متبوعه »¹. ففي جملة: «جاءني الرجل المريض» أو «رأيت رجلاً رقيق القلب» نعت الرجل بالمرض أولاً وبالرقة ثانياً فركنا هاتين المقطعتين هما: المنعوت المباشر أي «الرجل» و«رجلاً» والنعت المتلاصق أي «المريض» و«رقيق القلب» ففي هذه الجملة ونحوها لا يفوت المخاطب أنّ الوصف لا ينفصل عن الموصوف أيّاً كان خلافاً لما يوجد في النعت السببي الذي يتعلق المعنى

الوصفي فيه بسبب أو متعلق الموصوف لا الموصوف نفسه والأمثلة السابقة للنعت الحقيقي تتحول إلى النعت السببي بانتقال المعنى الوصفي من الموصوف إلى متعلقه الذي يلي الصفة: «جَاءَني الرَّجُلُ المَرِيضُ أَخُوهُ» أو «رَأَيْتُ رَجُلًا رَقِيقًا قَلْبُ أُمِّهِ». فالمرض في المثال الأول يتعلق بالأخ معنى لا بالرجل نفسه ورقة القلب في المثال الثاني انزاحت عن الرجل واستقرت في قلب أمه فمن يتلقى هاتين الجملتين لا ريب يدرك هذا المعنى المنوي من دون أن يعاني مشقة البحث وعناء التدقيق.

والممتع لهذه القضية في الكتب النحوية يلاحظ أنَّ النعت السببي هو أكثر السببيات تواتراً فيها وأغمض النحو التقليدي ردها من الزمن عن أخرى السببيات إلا أنَّ هناك إشارات فاترة هنا وهناك إلى الحال السببية من دون أي استقصاء في أنواعها ومواضع توظيفها. فالدراسات السابقة لهذا البحث هي أمهات الكتب النحوية نحو مغني اللبيب، حاشية الصبان على الأشموني، النحو الوافي، الصمدية، شرح ابن عقيل، معاني النحو للسامرائي وغيرها من الكتب النحوية. وعلى ما علم. لم تصرِّح هي بأخرى السببيات تصريحاً مستشفاً وإن حوته في طيات دراستها ومكنون ذخائرها ولكن في الدرس النحوي الحديث هناك من الباحثين من تطرَّق إلى السببيات وأشاد رايتها إلى حد ما ومن هذه الدراسات يمكن الإشارة إلى كتاب «أسلوب النعت في القرآن الكريم» لقاسم محمد سلامة شَبُول وقد درس في كتابه هذا، النعت دراسة مستفيضة وقد تحدَّث عن أوجه الفرق بين النعت والخبر والحال والقواسم المشتركة بينها وأجال الحديث في النعت السببي وأورد الشواهد القرآنية فيه. ثمَّ «أنماط الجمل الفرعية المقلوبة في العربية دراسة تركيبية تطبيقية» وهي رسالة ماجستير لعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله العمران وهي دراسة جديدة حيث كانت الفكرة الأولى للباحث هي دراسة ما يسمَّى بالنعت السببي ليتضمَّن معه الصلة والحال والخبر السببي على حد قول الباحث²، إلا أنه تجسَّم عناء البحث في النعت السببي خاصة ورغم هذا لم يتطرق كما ينبغي إلى سائر السببيات من الحال والخبر والصلة اللهم إلا قليلاً. والرسالة المعنونة بـ«العلاقات النحوية بين الخبر والصفة والحال دراسة تطبيقية في سورة يوسف» لعلام جميل أحمد اشتبه وقد تجاذب في درسه أطراف الخبر والنعت والحال وبيَّن مدى علاقاتها المتقابلة. فهذه جهود جبارة بذلت في مجال الدراسات النحوية إلا أنَّ هناك فجوات ملحوظة في هذه الدراسات؛ إذ لم تتمكن من كشف جميع الطاقات الكامنة في هذا النطاق فعليه شمر هذا المقال عن ساعد الهمة وراح يتتبع خطوات الإجابة عن التساؤلات التي لم تبصر النور بعد وهي:

ما هي أنواع السببيات وما هو دورها الوظيفي؟

ما هي كفايات النعت السببي قياساً بالنعت الحقيقي؟

ما هي الحال السببية وفروعها المتصورة؟

ما هو الخبر السببي ومكانته في الدرس النحوي؟

فضرورة الإجابة عن هذه التساؤلات كان الدافع الرئيس في انتقاء هذا الموضوع فولج الباحث هذه الخطوة المتواضعة على أساس المنهج الوصفي التحليلي فبداية يوضح النعت السببي وقيسه بشقيقه الحقيقي ثم يعمّ دراسته إلى أخرى السببيات المستحدثة المستجدة ويحاول الولوج إلى نواح غير مطروقة ليتمخض جواهرها بغية الإفادة الشاملة للمتلقين والدارسين في حقل النحو وهذا البحث يوّتي أكله ضعفين حيث أنّه يحكم فتل الأسس القواعدية المتواجدة فيها سبق بأرائه التنظيرية كما أنّه محاولة الارتقاء بمستوى النحو التقليدي.

تأسيساً على هذا المهاد النظري وتمهيداً للولوج في خضم البحث ننظر نظرة موجزة إلى ماهية التوابع التي ينتج عنها النعت الذي هو أظهر صيغة سببية قياساً لأخرى السببيات حيث يقام بينها وبين النعت السببي صلات تنظيرية قواعدية متينة تساعد على استدراك الفأنت والغور في الجانب اللافت للنظر.

2- النعت لغةً واصطلاحاً:

من يتصفح طيّات القواميس والمعاجم يجد أنّ دلالة النعت اللغوية لا تتجاوز عدّة دلالات هي الدلالة على الوصف، والجودة، والجمال والرفعة ف «يُقَالُ: شَيْءٌ نَعْتُ: جَدُّ بَالِغٌ وَ- فَرَسٌ نَعْتُ: غَايَةٌ فِي الْعَتَقِ: عَتِيقٌ سَبَّاقٌ، وَفُلَانٌ نَعْتُ: غَايَةٌ فِي الرَّفْعَةِ وَإِمْرَأَةٌ نَعْتُ: غَايَةٌ فِي الْجَمَالِ»³.

أما النعت الذي اصطلح عليه النحاة فهو «التابع المكمل متبوعه، ببيان صفة من صفاته نحو: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ كَرِيمٍ أو ببيان صفة من صفات ما يتعلّق به، وهو ما يسمّى بالنعت السببي»⁴.

ذلك أنّ الميزة الوصفية انتقلت من الموصوف إلى ما يلازمه وليس هذا النعت حقيقياً يكشف عن بواطن الموصوف مباشرة بل هو النعت المجازي الذي يقتبس خصوصية خاصّة ويحيلها إلى متعلّق الموصوف وبها أنّ الموصوف يبقى موصوفاً في التركيب النحوي رغم عدم تعلّق الصفة به مباشرة يسمّى هذا النعت مجازياً لمجازية هذا التعلّق فإذا فتش الباحث عن متعلّق الكينون الوصفي في مكنون النص؛ يراه قائماً على واجهة متعلّق الموصوف أو ما يلازمه لا الموصوف نفسه. فعليه النعت قسمان: النعت الحقيقي والنعت السببي أي المجازي.

3- النعت الحقيقي

النعت الحقيقي هو النعت المعهود الذي طرق النحاة مجاميع أبوابه وجاؤوا بنظريات وآراء جديدة فيه كما أتوا بكلّ غثّ وسمين تجاهه فلا يتجشّم هذا البحث عناء الغور في مختلف زوايا النعت الحقيقي بل يكتفي ببيان الخطوط العريضة التي تعضده للكشف عن معميات النعت السببي الذي أهملت أصوله وقواعده إلى حدّ كبير. يحتلّ النعت الحقيقي في الفضاءات النصية ليوّدي أغراضاً أهمّها الإيضاح، والتخصيص، والمدح، والذم، والترحم والتوكيد؛ نحو: مَرَرْتُ بِرَيْدٍ الْخَيَاطِ وَجَاءَ رَجُلٌ تَاجِرٌ وَمَرَرْتُ بِرَيْدٍ الْكَرِيمِ، وَمَرَرْتُ بِرَيْدٍ الْفَاسِقِ، وَأَمْسِ الدَّابِرُ لَا يَعُودُ.

أما حكمه فهو اتّباع موصوفه في أمور أربعة هي: حركات الإعراب ، التعريف والتنكير ، وواحد من الأفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث. وما يلاحظ في هذا المستوى هو عدم جواز نعت المعرفة بالنكرة وصورتها المعكوسة أي نعت المؤشر الاسمي المنكر بالنعت المعرّف.

ولاستأهل جميع المفردات لأن تكون نعتاً بل هي تتوزع بين المشتقات وما يؤؤل بالمشتق والجمل والمصادر إلّا أنّ وقوع هذا الأخير نعتاً لا يخلو من التصنّع شيئاً كبيراً وقيل «النعت به على خلاف الأصل ؛ لأنّه يدل على المعنى ، لا على صاحبه»⁵ أما النعت بالجملة فمقيّد بشروط ثلاثة إحداها في المنعوت وهي كونه نكرة ؛ وشرطين في الجملة هما اشتمالها على ضمير يربطها بالموصوف أولاً وكون الجملة خبرية ثانياً.

النعت الحقيقي يمكن أن يجاور منعوتين متعددين وفي هذه الحالة إما يختلف النعت أو يتفق ، إذا اختلف فيلزم فصل النعتين بالواو العاطفة ؛ نحو: مررت بالزديدين الكريم والبخيل ، وإن كان متفقاً معنى كتب وهو على هيئة الجمع أو التثنية هذا ، ويمكن تواتر النعوت لمنعوت واحد. ومن القضايا الريادية في النعت الحقيقي هي قضية القطع ؛ قطع النعت عن المنعوت وهو أسلوب تشجيعي «يزيد من الانتباه إلى ما يليقه المتكلّم ، إذ تغيّر الكلام لمعنى من المعاني ، وصرفه عن قاعدته المألوفة ينبئ عن اهتمام المتكلّم في إيصال فكرة ذات مكانة. وقد شبّهت هذه الظاهرة باللافتة أو بالإشارات الضوئية الحمراء أو الخضراء في الطريق لإثارة الانتباه ، والتعرّف على المراد منه»⁶.

فالقطع يعني قطع الحركة الإعرابية المتوقعة والعدول عنها إلى غيرها من الحركات الإعرابية بغضّ النظر عن التابعة المعهودة وجعل الكلام إما مستأنفاً وإما متعلقاً بمحذوف يتلاءم والمعنى المنشود.

ومن الأسس القواعدية البارزة في أسلوب النعت هي حذف المنعوت أو النعت ويرد بكثرة عند استحضر القرينة ، لفظية كانت أم معنوية كقوله تعالى: ﴿أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾⁷ ، أي درّوع سَابِغَاتٍ ، وحذف النعت من دون استقرار المنعوت مكانه أمر قليل نحو ما ورد في الآية التالية: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ﴾⁸ ، أي بالحقّ البين⁹.

هذا هو عامود القواعد التي وضعها النحاة في باب النعت الحقيقي وهي تمهّد الأرضية المناسبة للولوج في خضم البحث أي دراسة السببيات ؛ فأول ما يستأنف الكلام به من السببيات هو النعت السببي الذي أطلقنا عليه «أم السببيات» وسبب هذه التسمية هو أنّ النحاة قد أتوا بالنعت السببي بين دفتي كتبهم إلا أنهم تركوا فراغات قاتمة اللون في هذا المجال ومن ثمّ ، أخرى السببيات تنطلق من نافذة النعت السببي وتشاكل معه في بنى اللفظ والمعنى فلذلك ندير أبصار البحث إلى صرح النعت السببي لتبيين زواياه ووضع الحجر الأساس للوجوه النظرية في السببيات عامة.

4-الواجهات التنظيرية للنعت السببي

القوائم التأسيسية القواعدية التي تشاهد في النعت الحقيقي تنعدم انعداماً شبه تام في البحث عن النعت السببي ؛ فما هي أغراض النعت السببي وهل هناك اتحاد عفوي بينها وبين ما يتواجد من الأغراض في النعت الحقيقي ؟ وهل يقع النعت السببي جملة ؟ وكيف تحلل العلاقات التشاكلية أي العلاقات الإعرابية والثنائية والجمع ؟ وهل تستقيم الجملة بحذف أحد أركان النعت السببي ، خاصة طرفاه أم لا ؟ هل تعددية النعت والمنعوت تصدق على النعت السببي ؟ وهل العدول عن الوصل إلى القطع يتواجد في النعت السببي ليجد مكانته فيه كقسمه الحقيقي ؟ وهل هناك كيفيات مستحدثة وطاقت كامنة تصدق على النعت السببي ولم يذكر لها أثر في النعت الحقيقي ؟ فهذه التساؤلات المتكاثفة هي تلك الفراغات القائمة التي يحاول البحث فك شيفراتها والكشف عن غطاءها وتوجيهها توجيهاً صائباً.

ما ورد حول النعت السببي في أمهات الكتب لا يتجاوز عن بضع صفحات قلائل لا يكاد يبين كلامها! وموجز ماورد هو أنّ النعت السببي نعت لها بعده وهو يتعلق بالمنعوت عبر الضمير الرابط الذي يعود إليه مباشراً.

4-1 فروع النعت السببي

النعت السببي بوصفه مؤشراً لغوياً دلاليّاً يمكن تناول أطرافه على مستوى البنية اللفظية الطافية المتسطحة وعلى رصيد البنية المتعمقة التحتية التي تتوالد في حضانها المعاني فمن هذه الواجهة يمكن استخلاص جانبين لهذا التركيب النحوي هما الجانب اللفظي والجانب المعنوي ؛ الأول يكرّس على الكينونات اللفظية ويستشف عن المميزات التي يتّصف بها النعت السببي اللفظي وعلى صعيد المستوى التحتي تتجلى التراكمات التي تندرج تحت النعت السببي المعنوي ؛ هذا الذي كان محطة إغفال الدارسين رغم الدور التوظيفي الريادي الذي يلعبه في السجلات اليومية والمهارات التعليمية.

4-1-1 النعت اللفظي البسيط

الأمر المعزّز في كشف القناع عن وجه النعت السببي اللفظي وتميّزه عن غيره هو تلقّي الصورة البصرية منه فور تواجده في النص فتتمّ عملية إدراك النعت اللفظي في مضمار متسارع دون أية محاولة قاسية للفحص عنه والتركيب اللفظي هو الأصل في هذا ، فكلّ ما وقع في الجملة وله مواصفات النعت السببي يعدّ نعتاً سببياً لفظياً ومثاله في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾¹⁰.

ف "فَاعِقٌ" نعت سببي لفظي لأنّه متعلق بما بعده وهو «اللون» الذي اتّصل بالضمير المتعلّق بالموصوف. فجميع مميزات النعت السببي معدّ في هذا السياق ؛ فلبساطة تمييز هذا القسم من النعت السببي اللفظي ، نطلق عليه النعت السببي البسيط.

2-1-4 النعت السببي اللفظي المقلوب

إذا طرأت على النعت السببي البسيط انزياحات على المستويات التركيبية تمثيلاً للسياق أو تضخيماً لمعنى خاص أو تركيزاً على جانب بلاغي مراد ، يظهر النوع الثاني من النعت السببي اللفظي الذي أطلق البحث عليه النعت السببي المقلوب. ويتواتر في هذا المضمار تقديم متعلق النعت عليه. ويقصد من القلب هاهنا ، القلب المكاني في البنى السطحية أي الانزياح المكاني لكنيون النحوي ؛ فإذا قيل: إنَّها بقرة لونها قافع وقَدَم «اللون» على «القافع» إثر الانزياح التركيبي استثمر عندئذ النعت السببي المقلوب.

3-1-4 النعت السببي المعنوي

من المباني الداخلة بقوة ضمن مفهوم النحو الغائب الذي يكرّس على الفراغات التي تركها النحاة في النحو التقليدي للمتأخرين هو أنواع النعت المعنوي. انطلاقاً من هذه النافذة تمكن من وضع أطر قواعدية تخصّ البنيات الدلالية أهمّها النعت السببي المعنوي. من التراكيب ما يفتقد مميّزات النعت السببي في ظاهره لكن بعد استقصاء مواطنه والتفتيش عن بناء التحتية والغور في غياهبه الدلالية تتجلى فيه خيوط النعت السببي وإن لم تطف على السطح ؛ هذه الخيوط اللامرئية تتكاثف وتزدهر براعمها عند التماس سلّة الدلالات المتوالدة في التراكيب المدروسة لذلك اصطلح عليه الباحث بالنعت السببي المعنوي ويتجلى أكثر ما يتجلى في أوجه ثلاثة: الوجه التمييزي ، الوجه الإضافي ، الوجه الجري.

الألف: الوجه التمييزي

هو ما يظهر فيه النعت السببي المعنوي على وجه التمييز المنون ومثال ذلك: «مَرَرْتُ بِرَجُلٍ حَسَنٍ وَجْهًا» فظاهر الأمر أنّ هذا التركيب يتعد عن النعت السببي مسافات شاسعة غير أنّه من منظار بصيرة حديدة يخضع للتأويل على النمط النعت السببي المعهود فهذه العبارة تؤوّل على النحو التالي: «مَرَرْتُ بِرَجُلٍ حَسَنٍ وَجْهُهُ» فهذا الجانب التأويلي أدّى إلى إنتاج هذا النعت السببي المعنوي ؛ ومجيئه في إطار هذه الهندسة اللفظية لا يكون إلا تأكيداً لصورة بلاغية راقية تفتقده الصورة الصريحة هو التعبير عن صفة ما بدافع أحد ورغبة أشد ؛ ذلك أنّ التمييز يزيل الإبهام عمّا سبقه من المعنى فالإبهام المتواجد في ساحة الكلام يخلق فضاء تشجيعياً مفتوحاً يحاول المتلقّي في ظلاله فكّ الأجواء النصيّة المغلقة ؛ فعبرة: «مَرَرْتُ بِرَجُلٍ حَسَنٍ وَجْهًا» تهيّط بالقلب وتمسّ بجناحي العقل أكثر من التعبير المباشر بالنعت السببي البسيط.

ب: الوجه الإضافي

الصورة الثانية التي يتجلى إثرها النعت السببي المعنوي هي الصورة التي يضاف فيها النعت إلى منعوته فيسمّى هذا الوجه ، الوجه الإضافي نحو: «مَرَرْتُ بِرَجُلٍ حَسَنٍ وَجْهُهُ» وهو على الوجه التأويلي يسمّى بالنعت السببي المعنوي وكأنّ اللام التي لحقت المضاف إليه ، أي «الوجه»

نزلت منزلة الضمير الرابط في النعت السببي وبلاغة هذا التعبير هي أنه المضاف إليه في هذا الأسلوب هو المؤشر الدلالي المقصود من دون غيره ففي النموذج الذي ذكر أعلاه حُسْنُ الوجه هو البؤرة الرئيسة التي يتمحور حولها الكلام لكن في الوجه السببي البسيط «حسن وجهه» الإحالة الضمائية المتواجدة في المنعوت المعنوي أي «الوجه» تجسّد فضاء دلاليّاً متبايناً حيث تؤكد على المنعوت النحوي «رجل» ضمن استثمار الضمير.

ج: الوجه الجري

هذا الوجه من أندر وجوه النعت السببي المعنوي وما يميزه عن أخواته هو استقرار حرف الجرّ في تركيبه النحوي ، نحو: «مَرَرْتُ بِرَجُلٍ كَبِيرٍ مِنْهُ أَنْفُهُ!» في هذا الوجه رغم استحضر الضمير الإحالي يتواجد حرف الجرّ المقترن بالضمير العائد إلى المنعوت النحوي وذلك لتوكيد وتضخيم الصورة الكاريكاتورية في هذا المثال فهو وضع بصماته على أنف هذا الرجل الذي يدور الحديث عنه فأنفه كبير كبيراً مستقبلاً حيث يشوّه صورته. يبدو أنّ هذا الوجه الجري يتجلّى في التراكيب الوصفية التي يكون فيه النعت المعنوي جزءاً من النعت النحوي وهذا الأمر يجعل الوجه الجري نادراً.

ولا يخلو من الفائدة أن يشير البحث هاهنا إلى مصطلح النعت الكاشف الذي ورد في كتاب حاشية الصبّان على شرح الأشموني ضمن حديثه عن أغراض النعت حيث قال: «فلا يرد النعت لغير الإيضاح والتخصيص كالمدح والذم والتأكيد لأنّ هذا الأمر عارض ، ومنه النعت الكاشف إذا خوطب به العالم بحقيقة المنعوت»¹¹. فإذا ذكر نعت سببي والمرسل إليه هو العالم بحقيقة الأمر والنعت كان مكشوفاً له من قبل ؛ يسمّى هذا النعت ، نعتاً سببياً كاشفاً ؛ فقله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾¹² ، نعت سببي كاشف ؛ لأنّ اختلاف ألوان العسل الذي تنتجه النحلة لم يكن من الصفات الكامنة ولا من الأمور التي يتجسّم الإنسان عناء فهمها وما يدلّ على أن هذا النعت السببي الموظّف هنا نعت سببي كاشف ، هو صنعة الالتفات التي وردت لتذكّر الناس ما أهملوه هذا «التفات من الخطاب إلى الغيبة ، ولو جاء الكلام على النسق الأول لقل من بطونك ، وإنما صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة ، وهي أنه ذكر للبشر العسل وأوصافه وألوانه المختلفة ، وأخبرهم أن فيه فوائد شتى لهم ، ليلفت انتباههم إليه. ولو قال من بطونك لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة»¹³.

والنعت السببي الكاشف ظاهرة معنوية بحتة لا تتبع النسق النحوي متابعة تترى بل لا قبّل لها بحفظ الطابع النحوي الذي يظهر على قشرة النصّ اللهم إلا النزول الياسير منه.

5-الواجهات التنظيرية لأخرى السببيات

1-5 الحال السببية

الحال السببية تماثل النعت السببي من حيث إنها لم تكن حالاً عن صاحب الحال مباشرة بل تتعلق بما يتعلق بذی الحال كما أن النعت السببي لم يكن نعتاً للمنعوت مباشرة بل ينعت ما يتعلق بالمنعوت ويتصل بضمير ليدل عليه. أما الحال حقيقة فهي «وصف ، فضلة ، يقع في جواب كيف كضربْتُ اللَّصَّ مَكْتَوْفاً»¹⁴. فمكتوف حال يصف الكيفية العارضة على اللص عندما وقع الضرب عليه مباشرة من دون غيره فإذا قيل: «ضَرَبْتُ اللَّصَّ مَكْتَوْفاً أَبُوهُ» وأصبح الحال أي مكتوفاً متعلقاً بالأب في علاقة تجاورية وتعدى اللص دلاليّاً تسمّى هذه الحال ، حالاً سببية. ف «الحال السببية هي التي يكون الوصف فيها رافعاً لاسم ظاهر كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ﴾»¹⁵. فقلوه «مختلفاً» حال سببية لأنها رفعت الاسم الظاهر بعدها إذ هو فاعل لاسم الفاعل الواقع حالاً»¹⁶.

يمكن توزيع الحال السببية في شعب ثلاثة هي ؛ الحال السببية المفردة والحال السببية الجملة والحال السببية شبه الجملة.

1-1-5 الحال السببية المفردة

الحال السببية المفردة ترد في الكلام على هيئة الأفراد من دون أن تكون جملة أو شبه جملة. مثاله قول الشاعر:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ إِنَّهَا الْمَيِّتُ مَيِّتٌ الْأَحْيَاءُ
إِنَّهَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَيِّباً كَاسِفاً بَالُهُ قَلِيلُ الرَّجَاءِ

¹⁷ فالوحدة المعنية هي «إِنَّهَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَاسِفاً بَالُهُ» ف «كاسفاً» حال من الضمير المستتر في «يعيش» لكن الكسوف لا يتعلق بالضمير المستتر «هو» معنى بل يجتازه إلى الاسم الظاهر المرفوع به أي «بَالُهُ» وهو متحلّ بالإحالة الضمائية التي توضّح العلاقة بين ذي الحال اللفظي أي «هو» العائد إلى «من» وذی الحال المعنوي أي «البال» فالمَيِّت هو الذي انكشف ، لا نفسه بل باله ، كسوفاً حطّ من أمله إلى درجة القنوط التي لا رجاء بعدها. فالمؤشر الحالي «كاسفاً» اسم مشتق مفرد متخذ من البال فاعلاً مرفوعاً لنفسه فكما تتحقق الحال المفردة إذا كانت حقيقية ؛ تتجسد الحال السببية ، مفردة على أرض الواقع بغية إزاحة الستار عن الأنفة الدلالية لتبيين كيفية خاصة. وما يميّزها عن أختها الحقيقية هي الدلالة التشجيعية التي تميز بزيول الحال السببية بين أخرى الأساليب التي كاد أن يأخذها النعاس في طيات النصوص!

2-1-5 الحال السببية الجملة

الحال السببية تخضع لأن تكون جملة ، سواء اسمية كانت أو فعلية وهي لا تلبث في مستويات الجملة الاسمية المقترنة بالواو الحالية فحسب بل التي لم تقترن بالواو تستأهل بأن تلج في

مديات الاستخدامات المحتملة للحال السببية أما التي اقترنت بالواو فتجيء في الغالب مشحونة بطاقات تعبيرية ومثلها كمثل الحال الحقيقية في هذا الموضع حينما ترد اسمية ؛ نحو: «حَضَرَ الطَّبِيبُ حَقِيبَةً فِي يَدِهِ» و«حَضَرَ الطَّبِيبُ فِي يَدِهِ حَقِيبَةً»¹⁸.

فالحال الحقيقية تحوّل سببية في هذه النماذج إذ ألحق بها كيفية مغايرة لكيفية ذي الحال وذلك نحو: حَضَرَ الطَّبِيبُ حَقِيبَةً فِي يَدِ أَخِيهِ أو حَضَرَ الطَّبِيبُ فِي يَدِ أَخِيهِ حَقِيبَةً ؛ فحين استحضار الطبيب تنكشف حالة أخيه الذي كان قد أخذ حقيبة في يده. هذا هو شأن الحال السببية إذا كانت جملة اسمية.

أما الحال —كما أشير— تكتسي طابعاً وظيفياً آخر في شبكة البني النحوية إذا ما حاولت أن تبرز لنفسها حضوراً دينامياً في إطار الجملة الفعلية فهي تتمثل فيما شابه الكينون النحوي التالي: «سَارَ الطِّفْلُ يَضْحَكُ أَبُوهُ» أو «الطَّالِبُ يَرْكَبُ أَخُوهُ دَرَجَاتُهُ» فالضحك ليس وصفاً بلورة حالة الطفل نفسه بل ورد ليوضح حالة أبيه وفي المثال الثاني لم يكن ركوب الدراجة كيفية تصف الطالب نفسه ، بل انزاح عنه إلى ما يليه أي «الأخ» وفي هذا يتضخم دور الإحالة الضمائية المتواجدة في ذي الحال المعنوي لأن انعدام الضمير الذي التصق به يؤدي إلى انعدام هذه الشبكة الدلالية انعداماً شبه تام بل ينعدم المعنى بكامله فلا معنى متواشجاً لـ«سَارَ الطِّفْلُ يَضْحَكُ الأبُ» لأنّ المتلقّي في أكبر الظنّ يلتقط صورة متجزئة لهذه الوحدة ويرى عروتها انفصمت انفصامين لا تلاحم بينهما ولاغرو في ذلك حيث تحطّمت قنطرة المعنى بينهما وكأنّه قال القائل: سَارَ الطِّفْلُ. يَضْحَكُ الأبُ.

3-1-5 الحال السببية شبه الجملة

كما ترد الحال الحقيقية شبه الجملة بفرعيه الجرّ والظرف ، ترد الحال السببية على هاتين صورتين من دون أن يجرح روائها أو تنكسر أعمدة دلالاتها ؛ فالمثال الأول «سَمِعْتُ النَّصِيحَةَ مِنْ لِسَانِ مُخْلِصٍ أَجْدَادُهُ» فتمّ استماع النصيحة من «أنا» بالدور التوسيطي الذي لعبه لسان الشخص المتّصف بالإخلاص لا نفسه بل أجْدَادُهُ فجملة «مِنْ لِسَانِ مُخْلِصٍ أَجْدَادُهُ» تبين كيفية استماع النصيحة فهي حال سببية ونحو: «رَأَيْتُ الْهَلَالَ قَوْقَ التِّلِّ ضَوْءُهُ» حال سببية شبه جملة وظرف ، والعلة في سببية الحال هذه هو تباين الحال اللفظية والمعنوية على أنّ ذا الحال اللفظي هو الهلال ولكنّ ذا الحال المعنوي هو ضوء الهلال ووردت الحال لإيضاح الصورة المرئية باستعانة توظيف هذا الكينون النحوي أي الحال السببية شبه الجملة وفي هذا المخاض تنشأ علاقة حميمة بين الكينونات النحوية الحاضرة والغائبة تزيد من بلاغة الكلام بتوظيف آلية الحذف فالظرف متعلّق بمؤشر دلالي محذوف هو في الغالب «كائن» أو «يكون» ؛ هذا الغياب المعهود رغم أنّه لم يخلّ برتبة النسق الكلامي إلا أنّ تواجده في النصّ يضفي إليه فضاء دلاليّاً جديداً ويفتح شاشة عريضة في غياهب أذهان المتلقّين وذلك لتكاثف الواجهة

التشجيعية في أمثال هذه الوحدة: «رأيت الصديق فوق التل أبوه» فانتقال كيفية الوقوف من الصديق إلى الأب مرة ثم غياب الوجود المحض «كائن» الذي تعلّق به الطرف «فوق»؛ أحكما فتل هذه الثنائية التي ترقى بأجنحة المعنى إلى آفاق بعيدة.

4-1-5 الحال السببية اللفظية

الركيزة الأساسية في تمييز الحال السببية اللفظية هي وعي المخاطب مباشراً باستحضار المؤشر النحوي في تركيب النص من جهة واستجلاء الحال بخصوصيته في وعاء النص من جهة أخرى فكلّ حال سببية استوعبت هاتين الركيزتين شأنها أن تتقلب في هذا النطاق فعليه الحال السببية المفردة التي تظهر على خشبة النص سافرة غير عويصة تعدّ أبرز حال لفظية سببية فهي المنصوبة بالعلامات الظاهرة، فنصبها واشتقاقها وتنكيرها ما يدرك بلمح البصر أو هو أقرب ومثالها من الآي الكريم ﴿خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾¹⁹.

ف «خشعاً» حال سببية لفظية لأنها مفردة والقصد من الأفراد ما يقابل الجملة وشبه الجملة لا ما يقابل الجمع والمشتقّ ثم أنّ النصب ظهر عليها سافراً والمتلقي يرتشد إليها عن كذب من دون أن يسير طريقاً لولباً للحصول عليها في خضم النص وهنا ينبغي الإشارة إلى أنّ الحال الحقيقية المفردة لا تخرج عن حالات ثلاثة؛ فهي إما مشتقة، وإما جامدة وإما مؤولة بالمشتق؛ نحو: جاء علي خائفاً، والشتاء برداً أشدّ منه دفئاً وهجم الرجل أسداً²⁰.

فخائفاً حال حقيقية مشتقة وبرداً حال حقيقية جامدة غير مؤولة بالمشتق وأسداً حال مفردة مؤولة بالمشتق (السابق). الحال المشتقة يمكن أن تتحول سببية، نحو: جاء علي خائفاً أبوه والحال الجامدة نحو: الشتاء برداً مخالفه وكذلك الحال الجامدة المؤولة بالمشتق نحو: هجم الرجل أسداً أباه. فتالوث الحال المفردة يرحّب بالأطر القواعدية التي أشيدت راياتها في تأصيل السببيات.

5-1-5 الحال السببية المعنوية

خطاطة الحال السببية المعنوية تنطلق من عامود المعنى؛ من دون أي استشفاف معنوي يدل عليه إلا ما ندر فكلّ ما يؤوّل وكل ما يحذف أو يقدر من الأحوال تتحرّم حول عامود الحال السببية المعنوية وهذا التوزيع ليس حكرّاً على الحال السببية بل الحال الحقيقية بجميع شرائحها الدلالية تستأهل بأن تقع في دائرة توزيع اللفظي والمعنوي؛ بناء على هذا، حال الجملة اسمية كانت أو فعلية، وحال شبه الجملة ظرفاً كانت أم جاراً ومجروراً يندرج عنوانها تحت قائمة الحال المعنوية لأنّ حال الجملة تؤوّل إلى مفرد؛ نحو: «جاء عليّ يضحك أبوه» فتؤوّل هذه الجملة إلى «جاء عليّ ضاحكاً أبوه» ثم «جاء عليّ وهو يضحك» تؤوّل إلى «جاء عليّ ضاحكاً» ويمكن هنا مناقشة تواجد الواو الحالية كمؤشر للحال إذا كانت جملة اسمية حيث تخرجها عن دائرة الحال المعنوية فيردّ على هذه الإشكالية على أنّ الواو الداخلة على الجمل

الاسمية لا تختص بالحالية ولربما تكون للاستيناف أو العطف ثم أنّ الجملة الاسمية إذا وردت حالاً لا تقتزن في جميع حالاتها بالواو ، فعليه من الضروري في هذا الأمر أن يتكل البحث على أمر كفيل بضمانه من دون أن ينخدش وجه التنظير في شيء. أما الحال السببية شبه الجملة إذا كانت ظرفاً فتتعلق بالمحذوف والحق أنّ هذا الكينون النحوي المحذوف هو الحال حقيقة وهذا الغياب أدّى إلى تأطير الحال هذه في نطاق الحال المعنوية. أما الجار والمجرور إذا وقع حالاً سببية فهو إما يتعلّق بالمحذوف وإما يخضع للتأويل ففي مثل: «سَمِعْتُ النَّصِيحَةَ مِنْ لِسَانِ مُخْلِصِ أَبِيهِ» تتعلق الحال بالمحذوف أي «ناشئة» فيكون التقدير «سَمِعْتُ النَّصِيحَةَ نَاشِئَةً مِنْ لِسَانِ مُخْلِصِ أَبِيهِ» ونحو: «خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فِي بُكَاءٍ أَبْنَائِهِ» فـ «في بكاء» حال سببية جار ومجرور يؤول إلى «باكية».

5-1-6 إمكانية حاملة شتى الأحوال للحال السببية

الحال السببية لا تقصر على ما تطرّق إليه البحث فيما سبق بل هناك أقسام متباينة للحال وجميعها تستأهل لأن تدخل في إطار الحال السببية هي: الحال الموطئة وهي الجامدة الموصوفة تذكر تمهيداً لما بعدها ، فكأن الحال فيها مجرد وسيلة إلى النعت ؛ نحو: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾²¹.

ويقابلها الحال المقصودة التي يؤتى بها لذاتها ؛ نحو: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾²².
والحال المتنقلة وهي التي تبين هيئة شيء مدة مؤقتة ؛ نحو: أقبل الراح ضاحكاً ، والحال المقدرة وهي التي يتحقق معناها بعد وقوع معنى عاملها ؛ نحو: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾²³.
الحال السادة مسد الخبر ، هي التي تدلّ على الخبر وتعني عنه من دون أن تصلح في المعنى لتكون خبراً ؛ نحو: «مُسَاعَدَتِي الرَّجُلَ مُحْتَاجاً» أي «إِذَا كَانَ مُحْتَاجاً». والحال المتضادة هي التي لا تتحد أحوالها في الزمان نحو: «جَاءَنِي صَاحِبِي رَاكِبًا سَاكِنًا» يقابلها الحال الموافقة هي التي تتحد أحوالها في الزمان ، نحو: «جَاءَنِي صَاحِبِي رَاكِبًا قَارِئًا» والحال المتعددة التي تأتي لواحد أو لأكثر من واحد نحو: «هَبَطَ الطَّيَّارُ هَادِئًا مُبْتَسِماً» ونحو: «أَبْصَرْتُ الْبَحَّارَ وَالْمُهَنْدِسَ وَالرَّبَّانَ مُنْهَمَكِينَ فِي إِدَارَةِ السَّفِينَةِ» ونحو: «أَبْصَرْتُ زَمِيلِي قَاصِدًا رَيفٌ مُقْبِلًا مِنَ الرِّيفِ»²⁴.
فجميع هذه الأحوال الحقيقية يمكن أن تتركب تركيباً سببياً فالحال الموطئة السببية ، نحو: «فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَامَتُهُ» ومثال الحال المقصودة السببية: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا بَنِيَّتُهُ»
والحال المتنقلة السببية تتمثل في نحو: «أَقْبَلَ الرَّايحُ ضَاحِكًا أَخُوهُ» والحال المقدرة السببية تتجلى في نحو: «دَخَلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ أَبَاؤُهُمْ» والحال السببية السادة مسد الخبر نحو: «مُسَاعَدَتِي الرَّجُلَ مُحْتَاجاً أَبْنَاؤُهُ» والحال المتضادة السببية نحو: «رَأَيْتُ صَاحِبِي رَاكِبًا سَاكِنًا أَخُوهُ» ، ففي هذا النموذج يستلهم المتلقي صورتين إحداها سببية وأخرى حقيقية ذلك أنّ هذه الصورة التركيبية يمكن قراءتها مركبة متزامنة وذوو الحال منفصلين فإذا اعتبر «راكباً» حالاً

لـ«صاحبي» وساكناً لـ«أخوه» فتتكسر الوجهة السببية في هذا النموذج وحينئذ يصطدم المتلقي بحالين حقيقتين أما إذا قرئت الحالان كمركب مزجي «راكباً ساكناً» فتستحكم البنية السببية في هذا التركيب فلرفع هذا اللبس يمكن تسمية هذه الحال بالحال المتضادة المركبة السببية نظراً لقراءة المركبة للحالين المتآخمتين. هذه الإشكالية تتواجد في الحال المتوافقة السببية فلذلك يقوم البحث بعنوانها بالحال الموافقة المركبة السببية ؛ نحو: جاءني صاحبي راكباً قارئاً أبوه وتمتد هذه الإشكالية إلى أن تعلق برقبة الحال المتعددة المركبة السببية ؛ نحو: «هَبَطَ الطَّيَّارُ هَادِئاً مُتَسِمّاً أَخُوهُ وَأَبْصَرْتُ الْبَحَّارَ وَالْمُهَنْدِسَ وَالزَّيَّانَ مِنْهُمْ كَأَنَّ أَبْنَاءَهُمْ فِي إِدَارَةِ السَّفِينَةِ» ونحو: «أَبْصَرْتُ زَمِيلِي قَاصِداً الرَّيْفَ مُقْبِلاً مِنَ الرَّيْفِ أَبُوهُ».

فتبيّنت من خلال هذه الدراسة المتواضعة زاوية كامنة من الحال هي فضاءات الحال السببية فيترك البحث الحال ليلج في نفق آخر هو الخبر السببي.

2-5 الخبر السببي

تبرز فكرة الخبر السببي إثر التدقيق في العلاقات المتواجدة في قطري النظام الإسنادي فإذا كان الإسناد يتحقق في الخبر الحقيقي بالعلاقة المتواجدة بين المبتدأ والخبر نفسه ، يظهر الخبر السببي في علاقة المبتدأ ومتعلق الخبر لا الخبر نفسه ويسمح هذا الأمر توالد نوعين من وجه الإسناد في كينون نحوي ما ، هما الإسناد المعنوي والإسناد اللفظي فإذا قيل: «زَيْدٌ قَائِمٌ أَبُوهُ» تقوم العلاقة الإسنادية بين المبتدأ «زيد» والخبر «قائم» إلا أنّ علاقة «قائم» بـ «زيد» علاقة إسنادية لفظية يرتشد إليها عبر تتبع الأنساق النحوية أما المعنى يحيل المخاطب إلى إسناد معنوي آخر تكتمل به العلاقة الإسنادية المعنوية ؛ ها هنا «أبوه» وليس «زيد» هو الذي نسب إليه القيام معنى و«الأب» هو الذي انتمت إليه هذه الخصيصة المعنوية. الشبكة الإسنادية في الخبر السببي تتوزع في بنيات تركيبية ثلاثة ؛ هي الخبر السببي المفرد ، والخبر السببي الجملة ، والخبر السببي شبه الجملة.

1-2-5 الخبر السببي المفرد

وفيه تنعقد العلاقة الإسنادية بين كينون نحوي مفرد أو مثني أو جمع وبيتعد مسافات شاسعة عن الوضع الجملي أو شبهه ويفرق عن الخبر الحقيقي بأنّ العلاقة الإسنادية فيه تتزحزح عن العلاقة اللفظية إلى العلاقة المعنوية ويجد المخاطب فيه الإحالة الضمائية تشيد بالعلاقة اللامرئية بين الوجهين اللفظي والمعنوي للحيلولة دون انفكاك المعنى وإنشاء التماسك. النموذج البسيط للخبر السببي المفرد هو: «زَيْدٌ قَائِمٌ أَبُوهُ» حيث انتقل إسناد القيام من «زيد» إلى «أبيه» ففي هذا النموذج ، الخبر السببي يكون مفرداً مشتقاً أما مثال الخبر السببي المفرد المؤول بالمشتق فهو: «زَيْدٌ أَسَدٌ أَبُوهُ وَنَعَامَةٌ أُمُّهُ» فـ «أسد» خبر سببي مفرد والغرض منه ليس الحيوان المفترس الذي يقطن في الغابة بل الغرض منه هو الصفة السائدة على ذلك الحيوان

الشرس أي الشجاعة فزيد كالأسد شجاعة لا نفسه بل أبوه والنعماء هي دالة على الجبن وخفوق القلب مخافة فزيد جبان لا نفسه بل أمه.

ويتحقق الخبر السببي المفرد عند الجمود أيضاً؛ نحو: «الأوراقُ سَبَعَةُ ألوانها» فسبعة خبر سببي جامد لأن الوجه الإسنادي للخبر انتقل من الأوراق إلى الألوان والعامل الأساس في التماسك المعنوي هو ضمير الهاء العائد إلى الأوراق.

وما ورد من الخبر السببي المفرد هو: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ . أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾²⁵. ف«واجفة» خبر سببي مفرد مشتق وانزاح عنه الوجه الإسنادي من القلوب إلى الأبصار واستمسك الوجه الإسنادي في الآي الكريم إلى عروة الضمير «ها» فأبصار القلوب هي الواجفة عند قيام القيامة. ونحو: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾²⁶. ف«شاخصة» خبر سببي مفرد مشتق حيث انتقل وجه الإسناد فيه من «هي» إلى «أبصار».

2-2-5 الخبر السببي الجملة

الخبر السببي الجملة يظهر على خشبة النص في اتجاهين: الجملة الفعلية والجملة الاسمية. الجملة الفعلية نحو: «عليّ ربح أبوه في التجارة» «علي» مبتدأ و«ربح» خبر سببي جملة فعلية ماضوية وانتقل فيه وجه الإسناد من «علي» إلى «أبيه». ويتبلور الخبر السببي الجملة الاسمية في نحو: «محمّد كاتبٌ صديقُه الدّرس!»

2-3-5 الخبر السببي شبه الجملة

يتبين فيه كيفية الخبر في إطار الظرف والجار والمجرور ومثاله من النوع الأول: «الورقاء فوق الشجرة عَشَّها»؛ «الورقاء» مبتدأ و«فوق» ظرف وشبه جملة متعلق بـ «كائن» المحذوف هو الخبر السببي في الحقيقة، فالورقاء ليست نفسها فوق الشجرة بل عَشَّها استقرّ على الشجرة أما النوع الثاني فيتجلى في نحو: «زيدٌ على الدّراجة حَقِيبَتُهُ» أو «أبي في السيّارة مفتاحه» ف«على الدراجة» و«في السيارة» شبه جملة و«جار ومجرور متعلقان بـ «كائن» محذوف هو الخبر السببي حقيقة فينتقل في هاتين الجملتين الوجه الإسنادي من الكائن الحي إلى الكائن الجامد حيث زيد لم يكن هو نفسه على الدراجة بل حقييته، والأب ليس مستقراً في السيارة بل مفتاحه تموقع هناك.

التعبير بالأخبار السببية أيّاً كانت لها بلاغتها الخاصة هي تشجيع المخاطب إلى ما يليه من الوجوه الانتقالية للإسناد؛ ثمة أن الانزياح والمفاجأة يقدمان بضاعة دلالية دسمة للمتلقي.

ما يلفت الانتباه في مجال تنظير السببيات وانصباها في قولبة التنظير النحوي هو أن كلّ ما في جذوره ينتمي إلى الوجه الإسنادي أي كلّ ما يمكن تجزئته بالمبتدأ والخبر يخضع لأن يكون سببياً بجميع الأحكام التي فصلت في شتى السببيات والبحث لا يغور في أطرافه خشية أن ينوء كلّك على عاتق البحث، هذا من جهة ومن جهة أخرى إن قواعد السببيات في نظرة شمولية

تشابه وتقترب إلى حد كبير حيث الاستقصاء فيها يملّ القارئ إذ تنهمر عليه سيول المكررات غير أنّ البحث يرى من المحبذ أن يشير إلى هذه السببيات إشارة خاطفة. إنّ ما يتأصل في الخبرية هي الأفعال الناقصة ، وحروف المشبهة بالفعل ، وأفعال المقاربة ، ولا النافية للجنس ، ولاشبيهه بليس ؛ فكلّ منها يمكن أن يأتي خبرها سببياً ومما ورد من الأفعال الناقصة من خبر سببي ؛ هو:

لَا طَيْبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ مُنْعَصَةٌ لَذَائِهِ بِإِدْكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ

27

«منغصة» خبر لـ «دامت» وهو خبر سببي مفرد يتجلّى وجه السببي فيه إثر انتقال الإسناد من العيش إلى لذات العيش فتندم سعة العيش وهنائه حينما تُنغص لذات العيش لا العيش نفسه بذكر الموت والشيخوخة.

ومن نماذج الحروف المشبهة بالفعل: «أَنَّ زَيْدًا قَائِمٌ أَبَوْهُ» ومن أفعال المقاربة «كَادَ زَيْدٌ يَفُوزُ أَخُوهُ فِي الْمُبَارَاةِ» ولا النافية للجنس نحو: «لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ إِبْنُهُ» ونحو: «لَيْسَ الْعُشُّ بِسَاقِطٍ أَفْرَاحُهُ» هذه الأخبار السببية كلّها تبعث بالحيوية وتكسر النمط النحوي المعهود ولها زاوية تشجيعية جديرة بتبرّر حضور هذه الكيفيات السببية في السياقات النحوية وإنّما تكافح نضوب الإيحاء لتثمر سلّات دلالية راقية. فإذا عبّرنا عن هذه الكينونات النحوية على أبسط صورها نعدم فيها وجه المفاجأة كما نعدم فيها الصورة التشجيعية وليس من المستعصي إدراك هذا التباين: «إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ أَبَوْهُ» ينبسط على الوجه التالي: «إِنَّ أَبَا زَيْدٍ قَائِمٌ» ، وفي الثاني: «كَادَ أَخُو زَيْدٍ يَفُوزُ فِي الْمُبَارَاةِ» وفي الثالث: «لَا ابْنَ رَجُلٍ فِي الدَّارِ» وفي الرابع: «لَيْسَتْ أَفْرَاحُ الْعُشِّ سَاقِطَةً». بعد مقارنة الوجه البسيط والوجه المنزاح السببي يتضح جلياً أنّ الوجه المنزاح يتمتع بالنضج والدينامية أضعافاً مضاعفة لأنّ الوجه البسيط لا يدعو إلى التفكير ولا يدهش المتلقي لانعدام الصيغرات اللفظية والمعنوية.

4-2-5 الأخبار السببية المعنوية

تصلح الأخبار السببية اللفظية أي التي ينكشف غطاء سببيتها فور رؤيتها ولا غموض في إدراك قلبها السببي لأنّ تحول إلى الخبر السببي معنى ويتحقق هذا الأمر بسحب الإحالة الضمائية وهي المؤشر الأساس في السببيات من البنية السطحية إلى البنيات التحتية حيث يستخلص فيها الجانب السببي بالغور في الفضاءات التحتية للتركيب النحوي فـ «زَيْدٌ قَائِمٌ أَبَوْهُ» تتحول سببيتها اللفظية إلى المعنوية بحذف الضمير وجعل التركيب إضافياً: «زَيْدٌ قَائِمٌ الْأَبِ» فالألف واللام التي حلّت محل الضمير لا تزال تحتفظ في أحشائها على معنى الضمير ولذلك سمّي هذا الخبر ، بالخبر السببي المعنوي.

3-5 المفاعيل السببية

الوجه التنظيري للسببيات يتسع إلى أن يستوعب المفاعيل السببية وهي مفاعيل أفعال القلوب ذلك أنها متأصلة في الخبرية إذ أصلها مبتدأ وخبر ؛ وهذه الأصلية تتيح لهذه المفاعيل لأن تكون سببية. أما أفعال القلوب فهي «قسمان: قسم يفيد الرجحان وهو «ظنٌ وخال وحسب وزعم وجعل وعدّ وحجا وهب» ؛ وقسم يفيد اليقين هو «رأى وعلم ووجد وألفى ودرى وتعلّم»²⁸. وكلا الفريقين سيان في سببيتهما وهي تتمثل في نحو: «ظننتُ أخاك حقيراً بيته» أو «يَحْسَبُ هُنْدًا قَائِمًا أباهَا» في هذه الكينونات النحوية ينتقل وجه الإسناد اللفظي إلى وجه الإسناد المعنوي ؛ ففي «ظننتُ أخاك حقيراً بيته» الوجه الخبري الكامن هو «أخوك حقيرٌ بيته» والإسناد في المعنى انتقل من الأخ إلى البيت فليس الأخ حقيراً بل البيت الذي يسكنه حقير متواضع. وفي النموذج الثاني الوجه الخبري هو: «هَندٌ قَائِمٌ أبوها» انتقل إسناد القيام من هند إلى الأب فشبكة النقل الإسنادي لن يجد طريقه عقيماً في هذه المفاعيل بل تعمل بنشاط في هذه التراكيب.

هذه المفاعيل السببية تؤدي دورها وإن تقدّم السبب عليها ؛ فيصحّ قول: «ظننتُ أخاك بيته حقيراً» على الأعمال ؛ و«ظننتُ أخوكَ بيته حقيراً» على إلغاء عمل «ظن» لأنّ السبب «بيته» توسّط بتقديمه بين المفعولين فينتج عن تقديمه حالات ثلاثة هي إعمال ظن ونصب المفعولين ؛ إلغاء ظن ورفعهما على أنهما مبتدأ وخبر والحالة الثالثة هي نصب أول المفاعيل وإلغاء الثاني من المفاعيل: «ظننتُ أخاكَ بيته حقيراً» وتزداد هذه الوجوه عدداً بالتأرجح المكاني للعامل إذا توسّط أو تقدّم أو تأخّر ويضرب البحث عنها صفحاً لأن هذه الوجوه تندر استعمالها ولا طائل تحت ذكرها أو إحصائها.

بلاغة المفاعيل السببية كجميع السببيات التي تطرّق البحث إليها هي توسيع دائرة الإيحاء والقدرة التشجيعية التي يكسبه النص في ظلاله.

4-5 الصلة السببية

الصلة السببية هي التي تتواجد في صلة الموصول ، سواء كان الموصول اسمياً أو حرفياً وينقلب فيه الوجه الإسنادي الذي يتواجد في الصلة من كينون نحوي غير مقصود إلى آخر مقصود وليس هذا المصطلح من إبداعات البحث بل ورد هذا المصطلح ضمن دراسة أنماط الجمل الفرعية المقلوبة في العربية²⁹.

ومن نماذج الصلة السببية الحرفية «قَدِمَ زَيْدُ الْجَانِي أبوه» أي الذي جنى أبوه ؛ ففي الرؤية الأولى يتوقع المخاطب إنهاء الكلام بعد تلقّي صفة «الجانِي» لكن النسق النحوي يعارض توقعات المتلقي وينبسط الكلام ليلتحق بالسبب «أبوه» ، فهذا الانزياح الذي غيّر وجه الصلة هو الذي جعل الصلة سببية فليس الجاني هو زيد نفسه بل أبوه وإذا صيرت الوجه السببي فيه

إلى الوجه الإضافي تحصل الصلة السببية المعنوية ، حيث يكمن السبب ضمن «أل» التي حشيت في بطن التركيب الإضافي ، فإذا قيل: «جَاءَ زَيْدٌ الْقَائِمُ الْأَبِ» بمعنى القائم أبوه تتحول الصلة إلى سببية معنوية وهكذا الأمر في الصلات الاسمية ؛ نحو: «سَلَّمْتُ عَلَى زَيْدٍ الَّذِي قَائِمٌ أَبُوهُ» أو «سَلَّمْتُ عَلَى مَنْ قَائِمٌ أَبُوهُ» فتتحقق الصلة السببية كسائر السببيات وهي تتفرع إلى قسمين: الصلة السببية اللفظية السافرة والصلة السببية المعنوية الكامنة.

5-5 المبتدأ السببي

الحلقة الأخيرة من السببيات التي راح الكلام على رطبها ويابسها قدر الإمكان ، هو المبتدأ السببي الذي ينتقل وجه الإسناد منه إلى غيره ومثال ذلك: «هَلْ مِنْ مُسَافِرٍ أَبُوهُ فِي الْمَدِينَةِ؟» فالمحكوم عليه المستفهم عنه ليس المسافر نفسه بل أبو المسافر ولا يأخذ البحث بأطراف المبتدأ السببي خشية الإطالة ولأنّ نماذجه لا تختلف كبير اختلاف عن الخبر السببي على الأصحّ إلا أنه لا يستوعب الجملة أو شبه الجملة بل يكاد يكون حكراً على المفرد.

6- حصيلة البحث:

في ضوء رصد مستوى السببيات وتنويراً لبنيات النحو الغائب توصلت المقالة إلى نتائج جمة ؛ أهمّها:

✓ السببيات لا تنحصر في النعت السببي الذي أجال الدرس النحوي طرفه فيه جولة قصيرة بل تعمّ الحال والخبر والمفاعيل السببية والصلة السببية. وجميع السببيات تقوم على عامود قواعد متواشج هو الانتقال من الوجه البسيط إلى الوجه المنزاح انزياحاً مكانياً. وهي تتفرع إلى فرعين رئيسيين: السببيات اللفظية والسببيات المعنوية. والقاسم المشترك في السببيات اللفظية استحضار الإحالة الضمائية وفي السببيات المعنوية تحويل هذه الإحالة إلى وجه ضمائري.

✓ الحال السببية تتحقق في أطر ثلاثة ؛ الحال السببية المفردة ، والحال السببية الجملة والحال السببية شبه الجملة. وتحتل شتى الأحوال من الموطئة والمتعددة والموافقة والمتضادة بأن تدخل في نطاق الحال السببية وتنتج عن دراسة هذه الزاوية من الأحوال السببية ؛ ثلاثة فُرق هي ؛ الحال المتضادة المركبة السببية والحال الموافقة المركبة السببية والحال المتعددة المركبة السببية.

✓ الخبر السببي يستعيد للمخاطب الوجه الإسنادي المنزاح انزياحاً مكانياً نحوياً والخبر السببي تستوعب قواعده جميع ما يكون من شأنه التّأصل في الخبرية ؛ نحو: أخبار الحروف المشبهة بالفعل والأفعال الناقصة والمقاربة وغيرها إلى أن تخيم على معسكر مفاعيل أفعال القلوب برمتها. وبلاغة السببيات هي تقديم شرائح دلالية دسمة

وبضاعة جديدة من النمط النحوي تتمكن سلات المعاني أن تتوالد فيها وتنتج قدرات تشجيعية راقية تخرج النص عن الجفاف والسأم.

✓ كشف الغطاء عن الطابع الوظيفي الذي تتميز بها السببيات في حقيقتها يتطلب بحثاً مستقلاً تعالج فيه النصوص من هذه الزاوية إلا أن القليل الذي توصل إليه البحث من الدور الوظيفي الذي تلعبه السببيات تتلخص في المواضيع التالية: اللعب الضائري المتواجد في هذه الآلية يؤثر أثراً بالغاً في تماسك النص وانسجامه ، والأخبار السببية كلها تبعث بالحيوية وتكسر النمط النحوي المعهود ولها زاوية تشجيعية جديدة ، إنها تكافح نضوب الإيحاء لتثمر سلات دلالية راقية. وتؤثر في خلق أفضية تشجيعية مفتوحة يحاول المتلقي في ظلاله فك الأجواء النصية المغلفة. وهنالك النعت الكاشف يستمد بصنعة الالتفات ليلعب دوراً تذكاريّاً في النص.

✓ ما يقترحه البحث هو تتبع خطوات النحو الغائب لا في مجال السببيات فحسب بل في أخرى القواعد لتستشف نفقات توظيفية عديدة لم تكد ترى سبلها إلا بصائر جديدة ثم الغور في الدراسات التطبيقية والموازنة بين اللغة العربية وأخرى اللغات في كيفية السببيات والفحص عن شبكة النحو الغائب في حقلي الترجمة ومناهج التدريس.

* مصادر البحث

القرآن الكريم.

ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن ، شرح/ابن عقيل على ألفية/بن مالك ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت: دار إحياء التراث العربي ، د. ت.
ابن هشام الأنصاري ، عبد الله جمال الدين بن يوسف ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، حققه وشرح معانيه وأعرب شواهد محمد خير طقمة حلي ، الطبعة الثانية. دار المعرفة ، 1997م.

اشتيه ، جميل أحمد ، العلاقات النحوية بين الخبر والصفة والحال دراسة تطبيقية في سورة يوسف ، بإشراف أحمد حسن حامد ، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وأداها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين ، 2009م.

السامرائي ، فاضل صالح ، معاني النحو ، الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة ، المملكة الأردنية الهاشمية - عمان: دار الفكر ، 2009م.

الشبول ، محمد سلامة ، أسلوب النعت في القرآن الكريم ، إربد: عالم الكتب الحديث ، 2010م.

الشرتوني ، رشيد ، مبادئ العربية ، قم: دار الفكر ، 1392هـ. ش.

الصافي ، محمود عبدالرحيم ، الجدول في إعراب القرآن ، دمشق- بيروت: دار الرشيد ، مؤسسة الإيمان ، 1418هـ.

الصبان ، محمد بن علي ، حاشية صبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني ، الطبعة الأولى ، بيروت: دار الفكر ، 1999م.

ظفر ، جميل أحمد ، النحو القرآني قواعد وشواهد ، الطبعة الثانية ، مكة المكرمة: مكتبة ملك فهد الوطنية ، 1998م.

عبد المسيح ، جورج متري وهاني جورج تابري ، الخليل ، معجم مصطلحات النحو العربي ، تصدير للدكتور محمد مهدي علام ، بيروت: مكتبة لبنان ، 1990م.

عبدالغني ، أيمن أمين ، النحو الكافي ، مراجعة رمضان عبدالنواب ، ورشدي طعيمة ، وإبراهيم الإدكاري ، وجمال عبدالعزيز أحمد ، بيروت: دار الكتب العلمية ، 2000م.

العمران ، عبد العزيز بن إبراهيم بن عبدالله ، «أنماط الجمل الفرعية المقلوبة في العربية دراسة تركيبية تطبيقية» ، جامعة ملك سعود عمادة الدراسات العليا كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها ، 2009م.

مصطفى ، إبراهيم ، وأحمد حسين الزيات ، وحامد عبدالقادر ، محمد علي النجار ، المعجم الوسيط ، الطبعة الخامسة ، قم: مؤسسة الصادق ، 1426هـ.

يعقوب ، اميل بديع ، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ، بيروت: دار الكتب العلمية ، 1996م.

* الهوامش:

¹ . (الشَّوَل ، 2010م / 40).

² . (راجع: العمران ، 2009م / 6).

³ . (المصطفى وآخرون ، 1426هـ/مادة «ن ع»).

⁴ . (السامرائي ، 2009م / 157).

⁵ . (دفعال ، 1429هـ ، ج: 2 / 497).

⁶ . (السابق ، 500).

⁷ . (السبأ ، 11 / 34).

⁸ . (البقرة ، 71 / 2).

⁹ . (راجع: السابق ، 487-499).

¹⁰ . (البقرة ، 69 / 2).

- ¹¹. (الصَّبَّان ، 1999م/ ج 3 ، ص 1033).
- ¹². (النحل ، 69/16).
- ¹³. (الصافي ، 1418هـ/ ج 14 ، ص 351).
- ¹⁴. (ابن هشام الأنصاري ، 1997م/196).
- ¹⁵. (الأنعام ، 141/6).
- ¹⁶. (ظفر ، 1998م/364).
- ¹⁷. (يعقوب ، 1996م/78).
- ¹⁸. (راجع: عبدالغني ، 2000م/283-286).
- ¹⁹. (القمر ، 7/54).
- ²⁰. (راجع: عبدالمسيح وتابري ، 1990م/190).
- ²¹. (مريم ، 17/19).
- ²². (النساء ، 28/4).
- ²³. (الحجر ، 46/15).
- ²⁴. (راجع: عبدالمسيح ، 1990م/189-193).
- ²⁵. (النازعات ، 9-8/79).
- ²⁶. (الأنبياء ، 97/21).
- ²⁷. (ابن عقيل ، د. ت: ج 1 / 274).
- ²⁸. (الشرطوني ، 1392هـ/ش 241).
- ²⁹. (راجع: العمران ، 2009م/25 و 50).